

إبراهيم اطفيش

صوت الجزائر في المنفى



سلسلة أدب الفتوة

د. محمد صالح ناصر

1550

1550

EDITIONS
MINISTRE DE LA CULTURE

... أيها الأبناء، إني أحبكم محبة، تجعلني أتمنى أن
يكون كل واحد منكم فردا يبتني المكرمات للأمة
معتمدا على نفسه لا وكيلا، يرى الأمة كأفراد العائلة
الواحدة.

... يسرني منكم الجهد الجهد في هدوء، لأن وقت
استثمار المواهب مع اقتباس العلوم متحدان في زماننا
هذا، وعظم المسؤولية خطير، لهذا أرى على النجباء
الجمع بين المقامين إلا أنه بحسب الإمكان.
... أيها الأبناء اتخذوا من الظروف دروسا، ومن
الحياة فرصا ومن الشباب غنيمة.

إبراهيم اطفيش

الايداع القانوني: 2005-683

ISBN: 9947-24-038-X

مديرية الفنون والآداب
صندوق دعم الابداع

سلسلة أدب الفتوة

إبراهيم اطفيش

صوت الجزائر في المنفى

د. محمد صالح ناصر

منشورات وذاكرة الثقافة

الجزائر

نشأته و تعلمه

ذات يوم من أيام سنة 1305هـ / 1886م، انطلقت في بيت آل أطفيش العتيد زغردة تبشّر بميلاد إبراهيم بن الحاج محمد، وقد تناقلت عائلات (بني يزقن) تلك البشارة التي انتظرها طويلاً.



نشأ إبراهيم لأبوين كريمين في بيئة محافظة على الدين والقيم الأخلاقية العالية، وقد عرفت هذه العائلة بعراقتها الأصيلة في العلم، وقد اشتهر منها عم إبراهيم، وهو الشيخ أمحمد بن الحاج يوسف



سلسلة أدب الفتوة

تحت إشراف:

د. ربيعة جلطي

الإخراج الفني:

عبد الرحمان دحماني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى



اطْفِيشُ، الشهير بقطب الأئمة، لما له من شهرة واسعة في العالم الإسلامي قاطبة.

وما إن بلغ إبراهيم السادسة من عمره حتى أرسله والده إلى كتاب القرية ليحفظ كتاب الله على يد شيخه (الزروالي) عمر بن أحمد، ومنذ صباه أظهر إبراهيم تفوقاً ونجابة وذكاء، فلم يكد يصل الحادية عشرة من عمره حتى أتم حفظ كتاب الله عن ظهر قلب، إضافة إلى أنه أصبح مُلمّاً بمبادئ اللغة العربية والفقه الإسلامي، على يد معلمه الشيخ الحاج إسماعيل بن الحاج إبراهيم (زرقون).



الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش

تونس والآفاق البعيدة

وما إن وصل تونس حتى التحق بجامعة الزيتونة، يأخذ العلم عن مشايخ أجلاء مثل الشيخ محمد بن يوسف الحنفي، والشيخ محمد النخلي، والشيخ عثمان بلخوجة، والعلامة الشيخ طاهر بن عاشور. وكان شيخه بن يوسف يوليه الرعاية والتوجيه لما وجدته في تلميذه من سعة أفق، ورغبة في التحصيل، وحب للمحاورة والنقاش ولا سيما في العقيدة وأصول الفقه.



جامع الزيتونة

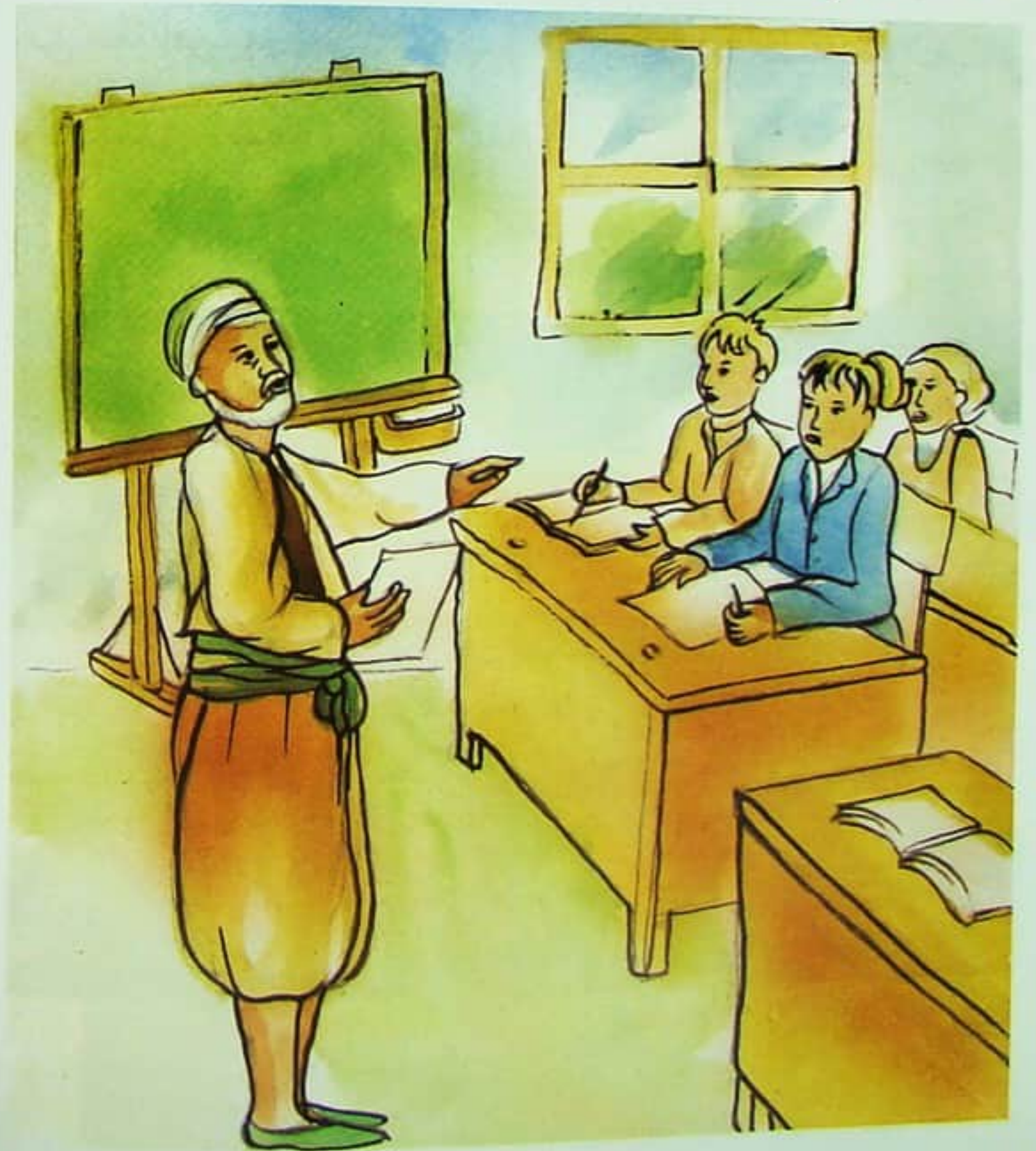


ولم يكد يبلغ سن الرشد حتى سافر إلى العاصمة حيث التحق بمدرسة الشيخ عبد القادر المجاوي، وأظهر نجابة واجتهادا في دروسه، مما جعل والده يرسل به إلى تونس ضمن بعثة علمية، وكان ذلك سنة 1917م.

تونس



وفي تونس تفتّح أفقه على جوّ جديد من المعارف، فلم يكن إبراهيم يكتفي بما يتلقاه من دروس في جامع الزيتونة، وإنّما سرعان ما استقطبه ما تموج به تونس آنئذ من حركة سياسية وطنية، ولفت نظره الشيخ عبد العزيز الثعالبي زعيم الحزب الحر الدستوري بمحاضراته التي كان يلقيها على زملائه وتلامذته في البعثة.



ووجد في الثعالبي بُغْيته في مقاومة الإستعمار الفرنسي، وأعجب بآرائه ومخططاته السياسية، مما جعل الثعالبي يختاره ليكون وسيطا ورسولا إلى الزعيم الوطني الجزائري الأمير خالد بمدينة المديّة الجزائرية.



الأمير خالد

في الميدان السياسي

كان جوّ الحرب العالمية الأولى يُذكّي الحماسة في قلوب أولئك الشباب الوطنيين الذين راحوا يخططون ويعملون في سرّيّة تامة لمقاومة الإستعمار الفرنسي بما يملكون من وسائل، فكتبوا المقالات، ونشروها في الصحافة التونسية يطالبون فيها فرنسا بأن تعطي للجزائريين حقوقهم السياسية، وتحترم قيمهم الدينية، وتسمح لهم بحرية التعليم العربي الإسلامي.

و لم تغفل عنه عين المخابرات الفرنسية التي كانت تراقب حركاته وتنقلاته عن قرب، ولا سيما اتصالاته بالأمير خالد في الجزائر، وعبد العزيز الثعالبي في تونس.



فكان عقابه أن أصدرت السلطة الفرنسية ضده قرارا بنفيه من وطنه الجزائر إلى تونس، مما دفع بإبراهيم لينشط أكثر في محيط الحزب الحر الدستوري بمعية زميله وأستاذه الثعالبي، ويجد الوقت الكافي لرعاية تلامذته في البعثة العلمية، فكان ينفخ فيهم الروح الوطنية، ويدفع بهم إلى المشاركة بالمقالات والخطب والشعر



كان إلى جانبه في هذه النهضة زملاؤه مشايخ البعثة: أبو اليقظان إبراهيم، ومحمد الثميني، وعضو اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري الشيخ صالح بن يحيى، كما كانوا يجمعون التبرعات من تونس والجزائر لصالح هذه النهضة الوطنية، وهو ما ساعد الثعالبي لينشر كتابه الشهير (تونس الشهيدة).

هكذا أصبح إبراهيم أطفيش في هذه الفترة ما بين 1917-1923م منغمسا في السياسة إلى قمة رأسه.

مواقفه

شهدت تونس ما بين 1920-1923م حركة سياسية نشطة قادها الزعيم الثعالبي، راحت تطالب الفرنسيين بإعطاء التونسيين والجزائريين حقوقهم، وقامت في تونس مظاهرات ضد تعسف الحكام الفرنسيين، ومن تلك المظاهرة التي احتجت فيها الجماهير ضد إغلاق معمل الشاشية التونسية، وكان أبو إسحاق ضمن المتظاهرين وتحدى الحاكم الفرنسي بعدم القيام عندما مرّ أمامه في سوق العطارين، اعتقاداً منه بأنه يجب على المسلم ألا يقوم للكافر من جهة التعظيم.



في الميدان الثقافي، فكان أن كوّن بيديه ثلّة من الطلاب الذين أصبحوا بعدُ أعلاماً في الثقافة والأدب والسياسة، نذكر منهم: مفدي زكريا، ورمضان حمود وسليمان بو جناح (الفرقد).



رمضان حمود



مفدي زكريا

إصلاح التعليم

ومما كان يستقطب اهتمام إبراهيم في هذه الفترة، إصلاح التعليم العربي والأخذ بأسباب رقيه، مناهج ومواد دراسية، واصطدم ببعض الشيوخ المتزمتين الذين رفضوا عصرنة التعليم بدعوى المحافظة على المناهج والمقررات التقليدية، فكتب ضد خصومه مقالات مستفيضة نشرها في الصحافة التونسية مثل جريدة الصواب، والمنير، وغيرهما، وجمع كل هذه المقالات في كتاب أسماه "الدعاية إلى سبيل المؤمنين" الذي طبعه في مصر سنة 1923م، وهو يمثل نظرته المستفيضة لتطوير التعليم العربي.

المنفى

أصبح ابراهيم معروفا لدى المخابرات الفرنسية لمواقفه الوطنية المعلنه الصريحة. وما لبثت السلطة الفرنسية أن أصدرت ضده الحكم بالنفي مرة ثانية، وتزامن ذلك كله مع قرارات صدرت بنفي زميليه الآخرين عبد العزيز الثعالبي التونسي، والأمير خالد الجزائري. وبما أن ابراهيم كان قد صدر ضده حكم النفي من الجزائر إلى تونس فإن قرار الإدارة الإستعمارية جاءه ومضمونه:

"الحكومة الفرنسية تدعوك إلى الكفّ عن كل حركة عدائية، واختر لنفسك أي بلد شئت خارج هذا التراب" (أي تونس).

وهكذا اختار القاهرة منفى له، فأصبح نفي النفي إثباتا كما يقول زميله أبو اليقظان الذي هنأه بهذا النفي الذي رأى فيه خيرا لأبي إسحاق وللوطن الجزائري، فقال في قصيدة مشهورة تحت عنوان نفي النفي إثبات:

...

قد أَوْصَدُوا أَبْوَابَ تُونِسَ عَنْهُ، بَلْ فَتَحُوا لَهُ أَبْوَابَ مِصْرَ مَجَانًا
حَسِبَ الْمُشَاغِبُ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ نَفْيٌ فَطَارَ لِأَجَلِهِ جَذْلَانَا

لكن تناسى أن نفي النفي إثبات فتاه لطيشه حيرانا



الباحرة "شيللي" التي أقلت الشيخ أبا إسحاق منفياً إلى مصر وتقبل أبو إسحاق ذلك القرار بصدرٍ رحب، شأن المؤمن الصادق الذي يؤمن بقضاء الله وقدره، لم يجزع ولم ييأس، بل رآها فرصة سانحة ليزداد علماً، ويكتسب معرفة، وذلك ما نقرأه في البطاقة التي أرسل بها إلى أبنائه التلامذة في البعثة بتونس من الباخرة "شيللي" التي أقلتة إلى الإسكندرية

"هكذا لعمرى تكون الرحلات كي يكون العاقل بصيراً
تشمله آية [...] لهم قلوب يعقلون بها] وقد كتبت لكم هذا،
عساكم تغرسونه في أفئدتكم فيكون لكم تبصرة، يوم

تعملون لمستقبلكم ووطنكم بجَوِّب (بالسفر) بلاد الله،
وتحصيل الفوائد العظيمة المخلوقة لنا، وتكون لكم
تذكرة تقدِّرون بها ما يتحمّله الأجانب في سبيل تحسين
حياتهم".

املاها امام عبد الله بن اباؤ فكري الزوج لما سمع
رئيس المؤيد بن حبيب المتحمم من قضاة امه هو لا اخرج
وذلك اثر اجتماع مضره مانع من الازرق وخبره ولما ظهر
نابع معانته تبرا من ابا ضيه وابعده عن مجلسه و
كذلك حمرة ومكية الكوفيان لما نكلا في الله وروما
اور من كلغ فيه هجرها المسلمون وامنوها من محاسنهم
وهو مو الكوف في القدر وهو سر الله في خلقه لا
يعلم حقيقة الا هو
وكان حمار العبد ي يقول كلوا العنز من العلم فان اقر
به هلكوا وان انكروه هلكوا
منودح من خط ابا سامة ابراهيم افندي

نموذج من خط يد ابي إسحاق اطفيش

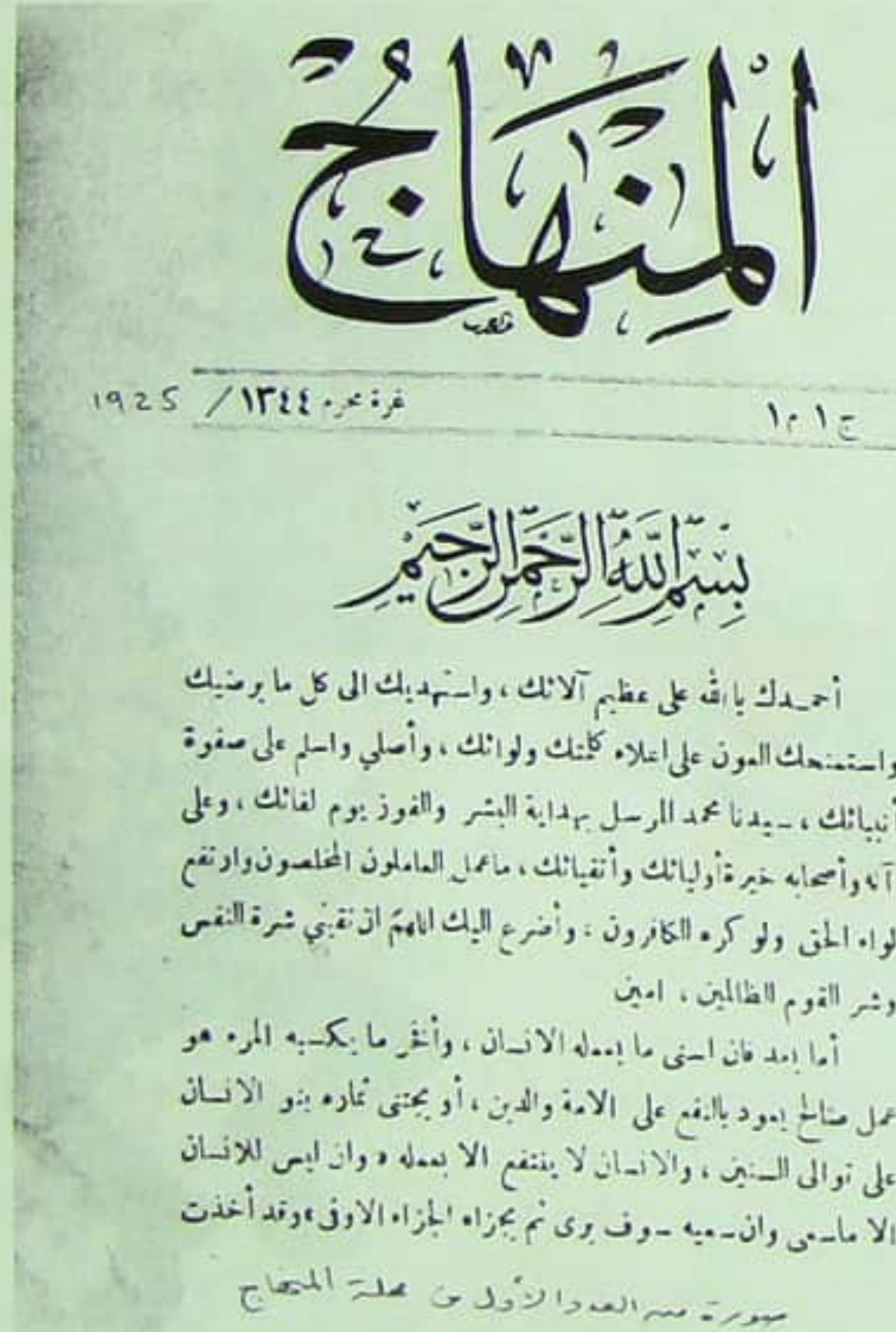
الإنطلاقة العلمية والوطنية

حطّ أبو إسحاق ابراهيم رحالة بالقاهرة في أواخر شهر فبراير
من سنة 1923م، وما لبث أن انفتح على جوّها الثقافي العلمي
المزدهر فأخذ منذ أيامه الأولى يتعرف على الشخصيات الإسلامية
الكبيرة ويتعاون معها في سبيل إصلاح حال المسلمين.



مجلة المنهاج

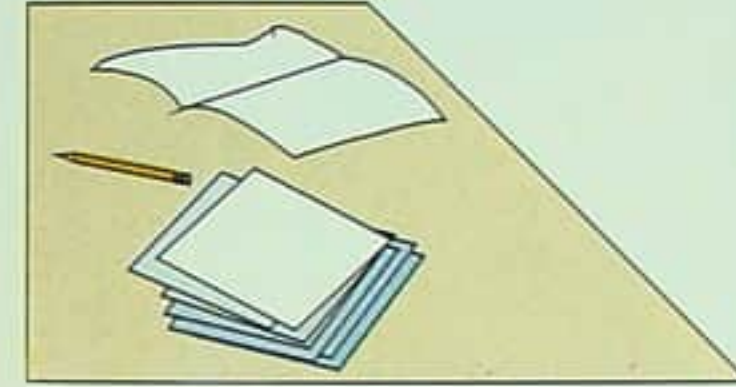
إن من أهم آثار أبو اسحاق إبراهيم مجلة المنهاج العلمية السياسية الاجتماعية التي أصدرها بالقاهرة ما بين (1925-1930)، وهي تعدّ بحق إحدى المجلات الإسلامية ذات التزعة الوطنية الصامدة في وجه الإستعمار والتنصير والإلحاد، وكانت تمثل إلى جانب هذه



صورة من العدد الأول من مجلة المنهاج

كان من أشهر أصدقائه في هذه المرحلة الداعية الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب صاحب المجلتين المشهورتين (الفتح والزهر). فكان يشارك بقلمه في هاتين المجلتين، ويتعاونان على طبع كتب عمه القطب اطفيش التي أخرجها إلى النور بطبعات أنيقة مُحَقَّقة مُدَقَّقة، فطبع:

- الأجزاء: الثامن، والتاسع، والعاشر من شرح النيل معتمد الإباضية في الفقه.



- الذَّهَبُ الخالص في الفقه.

- شرح عقيدة التوحيد.

- كتاب الرسم في تعليم الخط العربي.

- كتاب الملاحن لابن دريد في اللغة وغريبها.

إلى جانب كتب أخرى كثيرة لعلماء جزائريين وعُثمانيين.



مع رجال الفكر والأدب والسياسة

وفي القاهرة كوّن صداقات حميمة مع رجال الفكر والسياسة والأدب من أمثال محب الدين الخطيب وأحمد زكي باشا شيخ العروبة، وعلى الطاهر الفلستيني صاحب جريدة (الشورى) المشهورة، كما كان من أصدقائه الذين تعاون معهم الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري الأصل.



الخضر حسين

ومن أعماله التي عرف بها في القاهرة عضويته الفعالة في جمعية "تعاون جاليات شمال إفريقيا" هذه الجمعية التي كانت تضم تحت جناحها آمال وآلام شعوب المغرب العربي الكبير، وتضم الموجودين في القاهرة من زعماء هذه البلاد، كما كان عضواً في تأسيس "جمعية الهداية الإسلامية" التي كان رئيسها صديقه الشيخ محمد الخضر

الترعة الصوت الجزائري الداوي خارج القطر، إذ عرّفت المشاركة بالجزائر وقضاياها في وقت كانوا يخلطون فيه بين الجزائر ومراكش، ويعرفون فيه عن باريس أكثر مما يعرفون عن قسنطينة وتلمسان. وظل الإستعمار الفرنسي، والبريطاني، والإيطالي، يحارب هذه المجلة ويمنع دخولها إلى المغرب العربي، وتونس، وليبيا إلا أعداداً كانت تفلت من أعين المخابرات والجمارك وإدارة البريد، نظراً للهجتها القوية، ومواقفها الصارمة من أعداء الإسلام وأقطاره.





من هنا كان من أجل أعماله بهذه الدار، انكبابه على تصحيح وتحقيق الجامع لأحكام القرآن في التفسير للقرطبي، كما شارك في تصحيح كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم من تأليف محمد فؤاد عبد الباقي، وشارك في تصحيح الطبعة الأخيرة من مصحف "الملك".



حسين، هذا إضافة إلى عضويته في اللجنة المؤسسية لجمعية الإخوان المسلمين، وكانت تربطه بزعيمها الشهيد حسن البنا روابط الصداقة المتينة.



نهر النيل

وفي جوان من سنة 1940م التحق بقسم التصحيح بدار الكتب المصرية ومن المعلوم أنّ هذا القسم لا يلتحق به إلاّ الراسخون في العلم، فهو يعتبر بحق مجمع فطاحل العلم والفكر والأدب، وكان أبو إسحاق قد اشترط على إدارة الدار ألاّ يعمل إلاّ في حقل القرآن الكريم وعلومه.

وكان إلى جانب هذا مرجعا موثوقا به في الفتوى، إذ شارك مشاركة فعالة في تحرير مواد الموسوعة الفقهية التي يطلق عليها موسوعة جمال عبد الناصر، ولا سيما فيما يتعلق بالمذهب الإباضي.



شيخ من ميزاب

راح أبو إسحاق يتألق بين زملائه العلماء، وعرف بينهم بغزارة علمه الدافق، ودقته في تحقيق المسائل اللغوية والشرعية، كما اشتهر بينهم بقوة عارضته إذا حاجج، ورحابة صدره إذا نوقش، ولعل ما بُهر به المصريون حقيقة، هو إخلاصه النادر لعمله ما يقرب

من أربعين سنة، كان فيها مثالا للجد والمثابرة، والانضباط، لا يرده عن ذلك تقدّمه في السن، وضعفه البدني، وتكاليفه العائلية الثقيلة، ومن أجل هذه الخصال المتميزة كان محط إعجاب العلماء الدين عاشروه، وعرفوه عن كثب، من أمثال الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر، والعلامة محمد أبو زهرة، والباحث المحقق محمد علي النجار، ومحمد سلام مدكور، ومصطفى عبد الرزاق، وأمين المجمع اللغوي منصور فهمي، ومحمد رشيد رضا المصلح الإسلامي المعروف وغيرهم كثيرون.



من اليمن إلى اليسار الشيوخ: عبد الرحمان بكلي، سليمان بن حمير العماني، أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، أبو اليقضان

شخصيته وأخلاقه

كان الشيخ أبو إسحاق يلفت نظر معاصريه، ويحوز على إعجابهم وتقديرهم بما تميز به من تمسك شديد بدينه الإسلامي، عقيدة، وسلوكا، وأخلاقا وهو ما جعل بعض الذين عاشروه يصفونه بالتصلب والتزمت، لأنه كان يأخذ نفسه بسلوك لا يعرف التساهل مطلقا في أمور الدين، وليس أدق من وصف الشيخ أحمد توفيق المدني الذي عاشه في تونس والقاهرة، حيث يقول عنه:

"... كان رحمه الله صارما في دينه ننتقد عليه شدته وقسوته في أمور الحلال والحرام، حتى أنه يحرم كثيرا من المحدثات لمجرد ظن أو شبهة".

عندما سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية يمثل

(عُمان) الإمامية في هيئة الأمم المتحدة مُطالبًا بحقوقها من الإنجليز، كان يحتاط في أكله فلم يكن يقرب اللحم خوفا من أن يكون ذبيحة غير مذكاة على الطريقة الشرعية الإسلامية.



أطفيش 1960 بنيويورك

ومن أبرز الصفات التي يتميز بها الشيخ أبو إسحاق وتكاد تكون مفتاح شخصيته، اعتداده القوي بنفسه، فإن هذا الاعتداد هو أول ما يُطالع المتعريف عليه من خلال أعماله، وأقواله، ومواقفه، فهو لم يتخلَّ عن هذه الصفة قط في كل مراحل حياته، سواء أكان في ظروف الرخاء أم الشدة، في أوقات الإنسباط أو عند اشتداد الأزمات.



الشيخ إبراهيم أطفيش بلباس العزابة 1963 بوادي ميزاب

وفي سنة 1953م، فتحت حكومة زنجبار معهدا للدراسات الإسلامية فعرضت عليه أن يتولى الإدارة والتدريس به، وعرضت عليه مقابل ذلك مرتباً مالياً مغرباً، فما كان منه وهو في أشد الحاجة إلا أن يرفض ذلك العرض، لا لشيء سوى أنه جاءه عن طريق الإنجاز، إذ عدّ ذلك إهانة وإذلالاً، لا يقبله أبو إسحاق الذي يُعرف عند القاصي والداني بكرهه الشديد للإستعمار الغربي.



جندي فرنسي يقتحم بيت أسرة جزائرية

فإنه رغم السنوات الطويلة التي قضاها مغترباً عن أهله ووطنه لم يُحَنِّ لِلْمِحَنِ ظهراً، ولا مَدَّ لِلْمُغْرِبَاتِ المادية يداً، فقد كان بإمكانه أن يحصل غل ووظيفة سامية في مصر تضمن له العيش الكريم وتوفر له قدراً من الرخاء ورغد العيش، لو قبل التنازل عن جنسيته الجزائرية إلى الجنسية المصرية، ولكن خلق الاعتزاز بوطنيته وبلاده وأهله جعلته يفضل ما كان عليه من شظف العيش على استبدال جنسيته، فكان يُصدِّرُ عناوين كتبه ومقالاته هكذا: أبو إسحاق إبراهيم أطفَيْشُ الجزائري (نزىل مصر).



والحق أن المرء عندما يقرأ تفاصيل مواقف يزداد إشفاقاً على معاناة أبي إسحاق المادية، والمعنوية في ديار الغرب، ولكنه يزداد إعجاباً وتقديراً لشخصيته العظيمة، التي لم تستسلم فتعرق قلبه عن مشاريعه الأدبية والعلمية، فكان يُغالب الزمن ويقترض، ويجوع من أجل توفير بعض الماليم (السنتيمات) ليغطي بها مصاريفه الواجبة لطبع مجلته (المنهاج)، أو كتبه أو الإنفاق على أبنائه، وقد صرّح عن هذه الحالة لصديقه أبي اليقظان مراراً في مراسلاته، من ذلك ما جاء في إحدى رسائله حيث يقول:

"أخي أراك تتعجب بإقْدامي على طبع التفسير، وإصدار المجلة مع الإعسار، والاضطراب العالمي، فاعلم أخي أن الذي يتخوف من الأعمال لا يعمل ولو في حال اليسر، لأن من كان ذا تردد في حال لا يخلو منه في أخرى..."

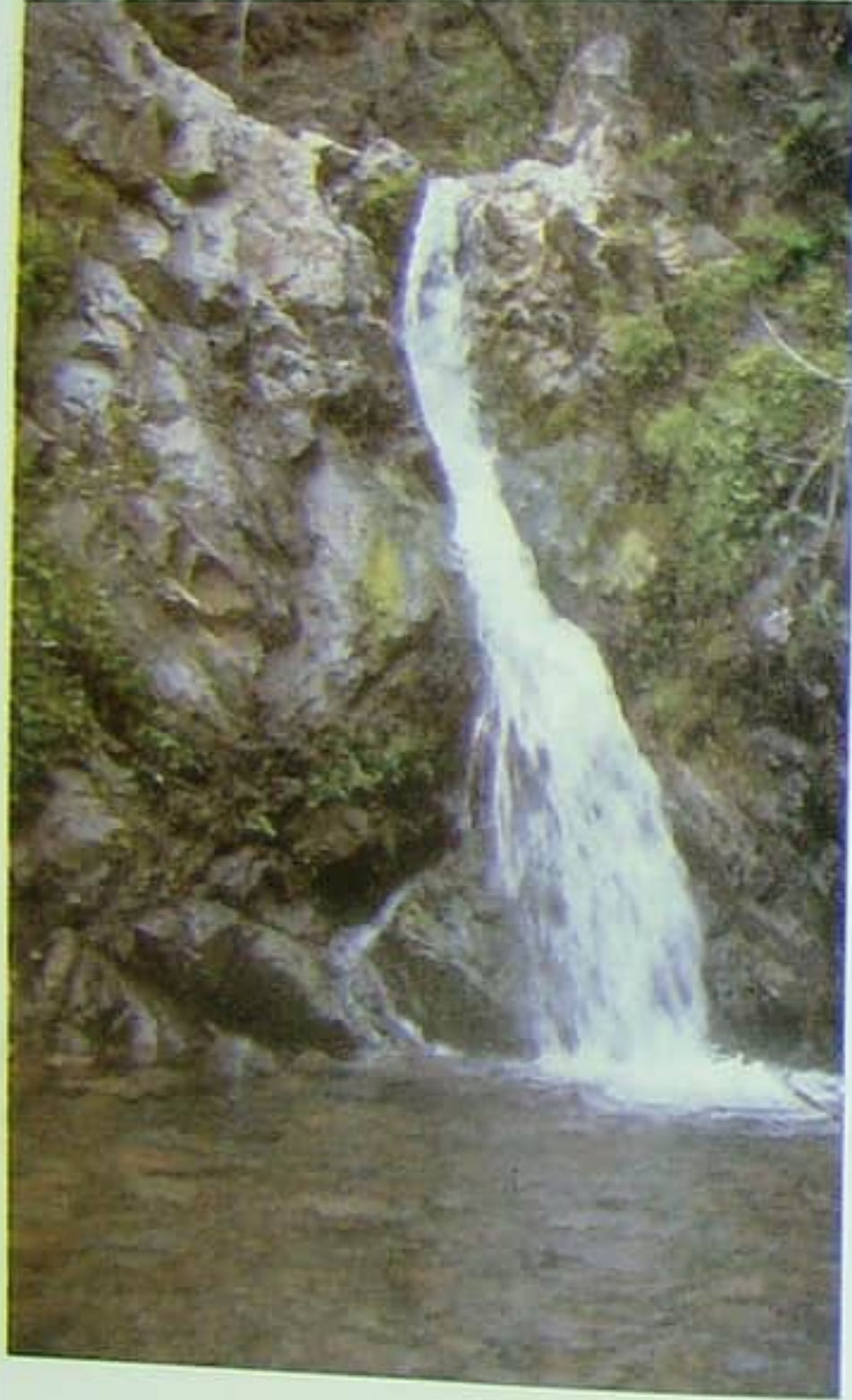


كان يحرض صديقه أبا اليقظان على اتخاذ أمثال هذه المواقف عندما تعرّض إلى مصادرة جرائده الثماني الواحدة تلو الأخرى.

"ولا يَهْوُلَنَّكَ الأمر أيها البطل الفذ، والشهم العرنين (الشديد) إنَّكَ في ميدان الكفاح ولا بد من مساجلة (مقاومة) وأنت مُقَدِّمُ شعبك ولا بد من اتجاه التيار نحوك، لا نحف ولا تحزن ولو بلغ الأمر ما بلغ، لقد ذاقت الأمة حلاوة الصحافة، ولا بد أن تقوم معك تطالب بظهور جريدتها، أو تأسيس أخرى أشد قوة من الأولى، وأمضى عزيمة.



آثاره الفكرية



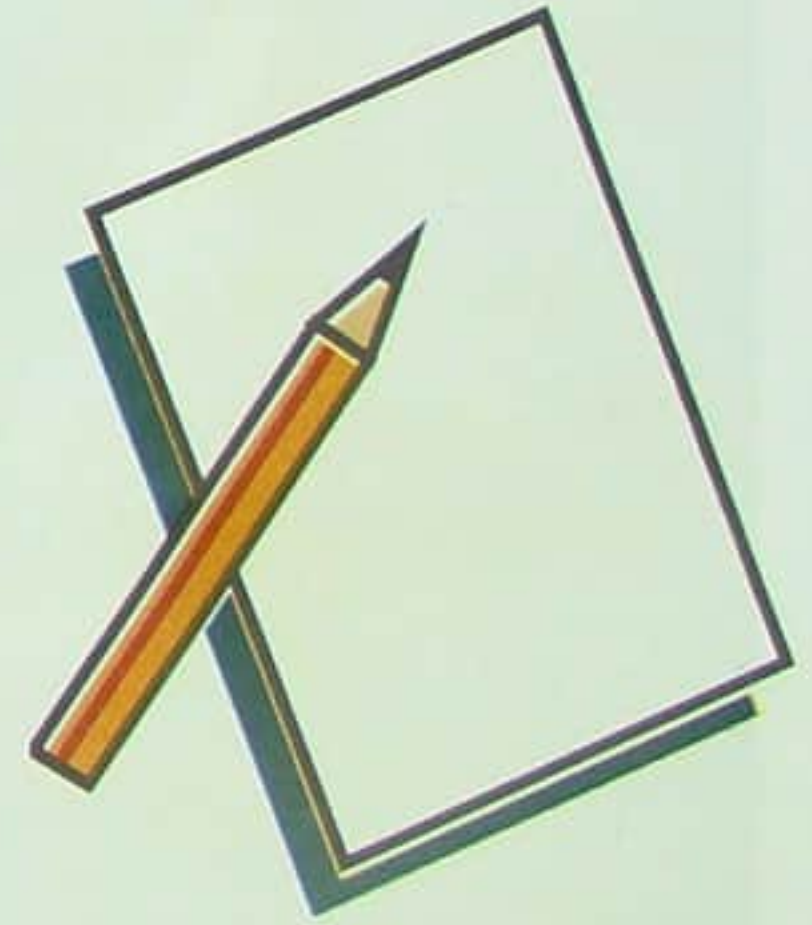
مقاومته الإستعمار

كان أبو إسحاق يؤمن دوماً بأن الأسلوب الذي ينبغي اتباعه مع الإستعمار هو المواجهة الصريحة، والمقاومة العلنية على جميع الأصعدة بالكتابة في وسائل الإعلام المقروءة، وبالتحرك السياسي في المجالات الدبلوماسية، لذا نجده ينتقد مواقف الجبن والخوف في الكتابات السياسية، ويدين صراحة موقف بعض الكتاب الذين يفضلون أسلوب اللين والمناورة، للإبقاء على المصالح، والحفاظ على المؤسسات، حيث يقول:



"إني أرى أنه من واجب الذين نطمح فيهم الإصلاح أن يبارح كل منهم قعر بيته ومَعْطِنَه (أي حظيرته) الذي عطن فيه حيث تصطدم الأفكار، ويعلو فيه لجَبُّ (الضوضاء) الأمم، وتتجلى في سمائه آثار الأعمال العلمية، وتسمع أصوات وصرخات الزعماء....".

على الرغم من أن أبا إسحاق أتجه فور وصوله إلى القاهرة إلى تحقيق تراث عمه قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، فأخرج العديد من آثاره الفقهية. إلا أنه سرعان ما بذل جهدا عمليا وفكريا مُعتبراً بمقالاته وتحليلاته ذات الطابع السياسي والاجتماعي، التي نشرها في مجلته المنهاج، وهي تعد بحق بحوثا قيّمة تُبرز جانبا من القضايا التي كانت تشغل بال المسلمين في العشرينيات والثلاثينيات.



كانت عناية أبي إسحاق بنشغالاته الفكرية تنصّب حول واقع العالم العربي والإسلامي المضطهد بالاستعمار الغربي. كان اهتمامه أشد بواقع المسلمين في الجزائر، إذ راح يفضح سياسة الإدارة الإستعمارية الفرنسية، ويكشف تعنت السلطات العسكرية التي كان الجنوب الجزائري يخضع لها، فقاوم التجنيد العسكري الإجباري، وكشف النقاب عن سلوك بعض العسكريين الفرنسيين مع الأهالي.



وإلى جانب تلك المقالات المهمة ترك لنا كمًّا هائلًا من الرسائل التي كانت بينه وبين الشيخ أبي اليقظان، وهي تُعدُّ بحق تراثًا قيما ووثائق حية عن تلك الحقبة التي شهدتها الوطن العربي والإسلامي ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها.



وفيهما تحليل دقيق واسع للأوضاع السياسية العالمية التي مهدت لقيام الحرب العالمية الثانية، وتنبؤ عجيب لمواقع القوى الدولية في مناوراتها لسياسية ومعاركها الحربية.

كما تستشف من خلال تلك المراسلات مشاريعه العلمية التي ذكر عناوين بعضها، مثل تاريخ الإباضية، مدونة أبي غانم الخراساني

(في الفقه) - تأويل المتشابه - صلاة السفر وحكمها - عصمة الأنبياء والرسول - ذكرى أبي الشعثاء جابر بن زيد - منهاج السلامة - تفسير سورة الفاتحة، وغيرها...

غير أن هذه الأبحاث لم تصلنا كليًا بل ضاع أكثرها ضمن ما ضاع من مكتبته العامة.

آثاره المطبوعة

ومن آثاره المطبوعة الفرق بين الإباضية والخوارج، والنقد الجليل للعتب الجميل، وهو ردّ على مؤلف شيعي من الروافض، من سنغفورة يدعى محمد بن عقيل العلوي.





مكانته العلمية

في جو القاهرة الضّاحي النّير بالشّخصيات العلمية والسياسية، ومأوى رجالات الوطنية من كل بقاع العالم العربي والإسلامي تنفّس أبو اسحاق بملئ رئتيه أجواء الحرية، وراح يعمل في دأب مع إخوانه الوطنيين الذين تعرّف بهم هناك، وقد أهله سمعته تلك ليختار ممثلاً للجزائر في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بالقدس الشريف سنة 1931م وكان لأبي اسحاق دور كبير في انجاح ذلك المؤتمر لما قام به من أعمال لوحدة المسلمين ولم شملهم وتوحيد خططهم ضد الإستعمار.



ومن مؤلفاته القيّمة الصوم بالتلفون والتلغراف، طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة 1355هـ. يتعرض فيه بالتحليل العميق لمسألة الصوم والفطر بالهاتف، عارضا آراء بعض الفقهاء المعارضين للعمل بالتلفون ويرد عليهم ردّاً علمياً عميقاً قلماً قرأنا مثله لغيره. ومن آثاره أيضاً مقدمة رائعة لكتاب السيرة الجامعة من المعجزة الالامعة، وهو من تأليف عمه القطب، وهذه المقدمة ثمرة لقراءة واسعة في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد وضّح فيه وجهة نظره عن الإحتفال بالمولد النبوي الشريف وكيف يكون، وبحث بعض معجزاته إثباتاً ونفياً، وأوضح أن المعجزات الخالدة هي القرآن الكريم.



ومن الذين عرفوا قيمة أبي إسحاق الزعيم التونسي الكبير عبد العزيز الثعالبي الذي كان من أعز أصدقاء أبي إسحاق، سواء حينما كانا بتونس يعملان جنبا إلى جنب في ظل الحزب الحر الدستوري، أم عندما نُفياً إلى مصر، فقد عملا معا وهما في القاهرة في إطار لجنة الدفاع عن حقوق شمال إفريقيا، وعندما طاردت المخابرات الإستعمارية الثعالبي إبان الحرب العالمية الثانية لم يكن له من مخبأ سوى دار أبي إسحاق (بالمطرية). ولدى الباحث رسالة بخط الثعالبي تبين مقدار مكانة أبي إسحاق الوطنية والعلمية.



وكان للشيخ أبي إسحاق معرفة وطيدة بالسيد قسب الذي عبّر عن اعتزازه بصداقة أبي إسحاق وإعجابه بأخلاقه، في مقال له حول الإباضية، حيث يقول:

"من علمائهم الأجلاء (أي الإباضية) صديقنا الشيخ اطفَيْش، ولهم كتب متداولة، وهم ينكرون على غيرهم أن يطلق عليهم اسم (الخوارج)".



شهادات

أفصح محب الدين الخطيب عن المكانة العلمية التي يتمتع بها أبو إسحاق لدى المصريين حيث يقول:

"...هبط صديقنا الأستاذ العلامة الشيخ ابراهيم اطفَيْش وادي النيل مهاجرا إليها من وطنه الجزائر، قبل أن يولد (الفتح) واكتسبنا صداقته من السنة الأولى التي اتخذ فيها الوطن المصري وطنا ثانيا له، فكثرت نحن وجميع أفاضل المصريين نعجب بصدقه وصلابة دينه، واستعداده للمشاركة في كل خير، فما قامت لخير الإسلام جماعة في ذلك الحين ولا أرسل المنادون إلى الفلاح صوتهم في أمر إلا كان أبو إسحاق ابراهيم اطفَيْش في مقدمة المجيبين على ذلك، ومقالاته المتعددة في هذه الصحيفة (الفتح) وفي أختها (الزهراء) شاهد على فضله، ودليل على حسن بلائه في سبيل وحدة المسلمين جزاه الله خيرا".

ولعل أحسن من يختصر لنا مكانة أبي إسحاق ودوره العظيم في مجال الفكر والسياسة الشيخ أحمد توفيق المدني الذي هو من عارفي أبي إسحاق ومعاشريه حيث يقول:

"محجاج حاضر البديهة، قوي العارضة (المناقشة) رأيته في مصر يتألق لمعانا بين علمائها ومفكراتها، يدفع بالتي هي أخشن لا بالتي هي أحسن، ويحبه القوم من أجل ذلك وتزداد مكانته في نفوسهم".



والواقع إن وجود أبي إسحاق في مصر أفاد القضية الجزائرية إفادة كبرى، فقد كان يقف لمؤامرات الإستعمار الفرنسي بالمرصاد، فضحا وكشفا، وهو لا يكتفي بما يكتبه بقلمه بل يستنهض للكتابة أشهر الأعلام الوطنية في مصر من أمثال أحمد زكي باشا شيخ العروبة، وعبد الرحمن الرافعي، والشيخ رشيد رضا (مفسر المنار)

وعلي الطاهر صاحب جريدة (الشورى) المشهورة، وغيرهم ممن كان لهم في ميدان الجهاد بالكلمة صيت ذائع وشهرة واسعة.

مرضه ووفاته

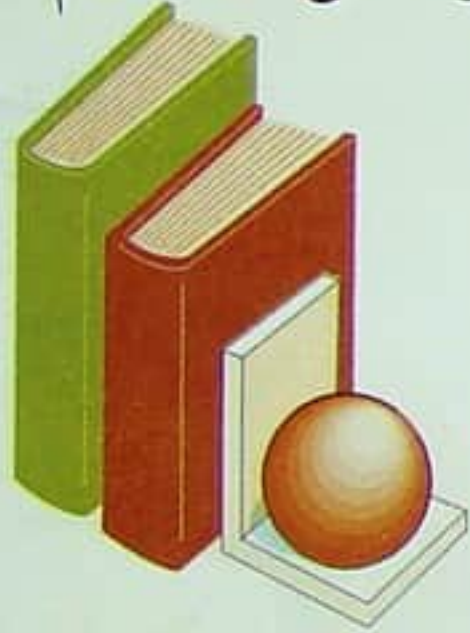
ظلَّ يجاهد ويصابر من سنة 1923م حتى وفاته سنة 1965م، أقيمت له جنازة مهيبة حضرها كثير من علماء مصر وساستها وصلى عليه شيخ الجامع الأزهر، ودفن في مقبرة آل الشماخي في القاهرة.



من أقواله:

واجب تعلم اللغة العربية

... إنه من الواجب تعلم اللغة العربية التي هي لغة الشريعة الإسلامية، وهي أسمى لغات العالم وأجملها، وأفخمها، وأغناها، فنشرها بين الأمم من أكبر الخدمات للشريعة الإسلامية، وأحسن وسيلة لتسهيل فهمها للبشر، وهي لغة حية ولغة من لغات العلم.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

... إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جندان من جنود الله، فمن نصرهما نصره الله.. ولقد كان أوائلنا من أشد الناس تمسكا بهاتين القاعدتين، وكان الحق قائما بين العامة والخاصة، وفي النفوس إخلاص لا يقصد به إلا الله لا حب الشهرة، والأمر بالمعروف حمل الناس على أن يعملوا بما عرّفه الشرع الشريف أنه حق يُثاب به المرء، ويمدح عند الله، سواء كان واجبا أو مندوبا أو مباحا بالتذكير والإرشاد والترغيب بالقول والفعل.



يسرني منكم الجهد الجهد في هدوء لأن وقت استثمار المواهب
مع اقتباس العلوم متحدان في زماننا هذا، وعظم المسؤولية خطير، لهذا
أرى على النجباء الجمع بين المقامين إلا أنه بحسب الإمكان.



...إن المرء إذا لم يكن لأمته كان عبيها، ولم نر من الأروبيين إلا
من يبذل لسعادة أمته، فلم لا نكون كذلك، ونحن أهل المجد التاريخي،
وانحطاطنا اليوم لا يكون مانعا لمجدنا الدائر....
...أيها الأبناء اتخذوا من الظروف دروسا، ومن الحياة فُرصاً
ومن الشباب غنيمة.



مقتطف من رسالة إلى تلامذته النجباء في تونس
... أيها الأبناء، إني أحبكم محبة تجعلني أتمنى أن يكون كل واحد
منكم فردا يبتني المكرمات للأمة معتمدا على نفسه لا وكيلاً، يرى
الأمة كأفراد العائلة الواحدة والطالح منهم يرى وجوب استصلاحه
والتقليل من شره وإذائه، فمتى كان الإنسان بهذه المثابة فإنه يكون
عظيم النفس، كبير الهمة، واسع الحلم، فتحمل مسؤولية مهمته
باطمئنان.





ضمن هذه السلسلة

الأمر عبد القادر	أبو راس الناصر
الشيخ طاهر الجزائري	الكاهنة
محمد العيد آل خليفة	تينهينان
أحمد رضا حوحو	أبوليوس لوكيوس
زليخة السعودي	الحضر حسين
مالك بن نبي	محمد بن شنب
مالك حداد	الشيخ إبراهيم اطفيش
رمضان حمود	مصطفى بن إبراهيم
الشيخ المقراني	بقار حدة
ابن رشيق المسيلي	عيسى الجرموني